



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة قاصدي مرباح - ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

وصية المنصور لابنه المهدي -دراسة شكلية فنية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
حنان عاد

إشراف
الأستاذة الدكتورة: فائزة زيتوني

2024.2023 / هـ 1446.1445

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴾.

إلى سر سعادتني ومن يحمل همي دائما وأبدا: ماما حياتي.

وإلى الشمس التي تنير سمائي: أبي الغالي، وإلى رفيق دربي زوجي :
أسامة .

وإلى صغاري مهجتي في حياتي: أثير ، فداء، ثناء، وإلى اخوتي: محمد
الصادق، ريحانة ، إشراق ، جهينة، أميرة، بدر الدين ، دعاء، براءة ،
بلسم.

إلى كل من درسني ، وسعدت بتلقي العلم منهم.

شكر وتقدير

الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه، والسلام على النبي محمد
الكريم، أما بعد:

فمن باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله، أرفع كل عبارات الشكر
والتقدير والحبج لأستاذة الدكتورة فائزة زيتوني، على كل
مجهوداتها المبذولة في المرافقة والإشراف على هذه المذكرة.
كما أتقدم بجزيل الشكر لكل أساتذتي في جامعة قاصدي مرباح
ورقلة لسعيهم الدؤوب حتى نصل لهذه المرحلة من التعليم.
ولكل من ساهم في أن تكون مذكرة التخرج بهذه الصفة.
لكم مني كل الحب والتقدير.

حنان

الملخص:

الوصية من الفنون النثرية العربية، انتشرا واسعا في العصر العباسي، فقد عرف بها الخلفاء والولاة وحتى العامة من الناس، لها اتجاهات عديدة، فمنها الوصايا السياسية والاجتماعية والدينية، وقد كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور من الذين عرفوا بهذا الفن، وكانت وصاياه للولاة والرعية ولأهل بيته، وبين أيدينا وصيته الأخيرة قبل موته لابنه المهدي لخص فيها له أفكارا عديدة حتى يستعين بها في حكمه، وقد تعددت مواضيعها، بين المواضيع السياسية والدينية والسلوكية وما يخص إدارة الحكم والسلطان، وتكلمت بفنيات عديدة من علم المعاني والبيان والبديع، تجسد الخصائص الفنية لفن الوصية.

الكلمات المفتاحية: الوصية؛ أبو جعفر المنصور؛ السجع؛ الأسلوب الإنشائي؛ الاستشهاد؛ المهدي؛ الموضوعات.

Summary:

The will is an art of Arab prose arts, which was widely spread in the Abbasid era, it was known by the caliphs and governors and even the general public, it has many directions, including political, social and religious commandments, and the Abbasid Caliph Abu Jaafar Al-Mansur was one of those who knew this art, and his commandments were for the governors, the parish and his family, and In our hands his last will before his death to his son Al-Mahdi, in which he summarized many ideas for him to use In his rule, and its topics have varied, between political, religious, behavioral topics and what It concerns the administration of government and the sultan, and culminated in many techniques of semantics, statement and Budaiya, embodying the artistic characteristics of the art of will.

Keywords: will; Abu Jaafar Al-Mansur; Assonance; Structural style; martyrdom; Mahdi; Topics.

المقدمة

كانت الدولة العباسية من الدول الفتية، التي استطاعت أن تفرض مكانة مرموقة لها بين الدول الأخرى، في مختلف مجالات الحياة بصفة عامة، والأدبية بصفة خاصة، فقد انتشرت فنون أدبية جديدة ، وتطورت وازدهرت وتعددت الأغراض الشعرية في ذلك العصر مما شكل ثروة أدبية فنية واسعة.

ومن الفنون النثرية التي وجدت إقبالا كبيرا، فن الوصايا، فهو يعد وسيلة لتوجيه النصائح والإرشادات لمن يهمننا أمر صلاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة ، حيث كتب العلماء والأدباء والخلفاء العديد منها، وغطت بدورها مجموعة واسعة من المواضيع مثل: الأخلاق والسياسة والإدارة...الخ.

وقد تميزت هذه الوصايا بأسلوبها الأدبي الجميل، منها الشعرية والنثرية، وساهمت كلها في جمع خبرات حياتية لمن عايش مختلف الظروف التي أحاطت بالدولة، وقد كان الخلفاء أشد حرصا على توريث خبايا الحكم وسياسته إلى أبنائهم حتى يستمر قيام الدول العباسية إلى أمد بعيد، فهذا الخليفة أبو جعفر المنصور يوجه لابنه في كل مناسبة وصايا عديدة تحضيرا وتمهيدا له لاستلام أعباء الحكم بعده وتولييه خلافة عرش بني العباس، وأمام كبر المسؤولية وثقل الأمانة، جاء نص الوصية بهذا العمق الدلالي والتركيز المعنوي مع إجادة لغوية وبراعة فنية ملحوظة.

وعليه جاء عنوان مذكرتنا :

وصية المنصور لابنه المهدي . دراسة شكلية فنية.

من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا البحث ، هو الرغبة في دراسة كنه هذا النوع من النثر خلال هذه الفترة من العصر الاسلامي، ومعرفة اهتمامات البلاط العباسي في ظل

الانفتاح على الفرس، ودخول الأعاجم للإسلام، مع الميول الشخصي لاكتشاف شخصية الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وذلك من خلال أدبه.

من خلال ما سبق كانت أهم أهداف البحث هي:

- الإحاطة بالموضوعات التي احتوتها وصية المنصور لابنه المهدي ولي عهده وخليفته على عرش الحكم العباسي.

- بيان السمات الفنية التي ميزت نص الوصية.

يحاول هذا الموضوع الإجابة عن الإشكالية الأساسية وتتمثل في:

إلى أي مدى نجح المنصور في صياغة وصيته لابنه، صياغة فنية بديعية تحقق الهدف المقصود وتحيط بجوانب الموضوعات التي تهدف إلى ترشيد سلوك ابنه من خلالها؟

وينسلُّ عن هذا الإشكال الأساسي، جملة من التساؤلات الفرعية مثل:

- ماهو فن الوصية ؟

- بماذا تميز فن الوصايا عن غيره من أنواع النثر؟

- كيف كانت الوصايا في العصر العباسي؟

- ماهي أبرز المواضيع التي تطرق إليها أبو جعفر المنصور في وصيته لابنه؟

- ماهي أبرز الخصائص الفنية التي يمكن استخلاصها والتي كان لها بالغ الأثر في تحقيق جماليات الوصية؟

اتكأت للإحاطة بجوانب الموضوع على الدراسة الشكلية لاستخراج أفكار ومضامين نص الوصية، وعلى المنهج الفني الذي يقارب نص الوصية بآليات التصوير الفني وتحليل الأساليب لأجل تحديد الأثر البلاغي لها.

وللإحاطة بشتى جوانب البحث وعناصره، اعتمدت على الخطة المكونة من مدخل و فصلين، وكانت كالتالي:

- المدخل: تحديد مصطلحات البحث، قدمت فيه تعريفا لمفهوم الوصية، لغة واصطلاحا، بالاضافة إلى ذكر المميزات الخاصة بفن الوصايا، ثم عرجت الحديث عن الوصية في العصر العباسي، لأصل إلى أشهر من كتب الوصايا، ثم خصصت الكلام عن وصايا الخليفة أبو جعفر المنصور. أما الفصل الأول : فكان للدراسة الموضوعاتية للوصية، ذكرت فيها المناسبة التي من أجلها قيلت، ثم قسمتها إلى موضوعات : بداية بمقدمة الوصية، ثم الموضوعات الدينية والعقائدية، ثم انتقلت إلى الموضوعات السياسية، بعدها كانت الموضوعات السلوكية، تلتها موضوعات تخص حسن تسيير الملك والإدارة والسلطان، ختاما نصل إلى خاتمة وصيته.

- الفصل الثاني: الدراسة الفنية للوصية: فمن علم المعاني كانت الأساليب الإنشائية و الخبرية، ومن علم البيان أخذت التشبيه، والاستعارة والكناية ، ثم انتقلت إلى علم البديع الذي كان منه: السجع و الجناس و الطباق و الاقتباس، والاستشهاد.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات السليقة لهذا الموضوع قليلة جدا، منها:

1. مقالة ل: فاطمة السراحنة بعنوان يم السيادة في وصايا خلفاء بني العباس (وصايا الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنه المهدي نموذجا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة، ع 63، أغسطس 2008

2. مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان: الأوضاع الحضارية للدولة العباسية في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور، (136 - 158 هـ / 754 - 775 م). جامعة 8 ماي 1945، قالمة، للطالبة نورة صيد، دفعة: 2015/2016.

ومن أهم مصادر البحث ومراجعته، اعتمدنا على تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري الجزء الثامن، أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، لأحمد أمين مصطفى، كذلك كتابي علم المعاني والبديع لعبد العزيز عتيق، ومفتاح العلوم للسكاكي، والايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني، وأيضا جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي.

من الصعوبات التي واجهتني، قلة الدراسات والمقاربات لنص الوصية شرحا ودراسة و تحليلا، وهذا ما جعل البحث صعبا قليلا، للغوص في دقائق الموضوع.

أخيرا أتوجه بالشكر العظيم والامتنان الكبير للأستاذة الدكتورة فائزة زيتوني، على ماوضعت لي من أئمن أوقاتها، لتقديم كل النصائح والتوجيهات، وعلى المتابعة الفورية والآنية لكل أجزاء البحث، تدقيقا وتفصيلا.

ولكل أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه، لكم مني أسى عبارات التقدير والفضل.

وأجوأن أكون قد وفقت في الإحاطة بجوانب الموضوع، وأن يحظى العمل بالقبول .

عاد حنان

تقرت في: 2024/05/08 م.

المدخل

قراءة في مصطلحات العنوان

المدخل : ضبط مصطلحات البحث.

عرف الأدب العربي ضرباً عديدة من النثر منذ العصر الجاهلي مروراً بصدر الإسلام وصولاً للعصر الأموي فالعباسي، ومن ضروبه الوصية ، والتي عُرف بها فضلاء القوم وكبارهم، يوجهونها لمن بعدهم من أبنائهم ومن يخلفهم.

أ- تعريف الوصية:

لغة:

يقال: " أوصى الرجل ووصاه : عهد إليه ، قال رؤبة: وصّاني العجاج فيما وصّني أراد: فيما وصّاني، فحذف اللام للقافية. وأوصيت له بشيء وأوصيت إليه إذ جعلته وصيّك . وأوصيته ووصيته إيصاءً وتوصيةً بمعنى.

وتواصى القوم أي أوصى بعضهم بعضاً. وفي الحديث استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوانٍ، والاسم الوصاءُ والوصايةُ. والوصية أيضا : ما أوصيتَ به"¹ .

وجاء في معجم مقاييس اللغة: " وصى الواو والصاد والحرف المعتل: أصل يدل على وصل شيء بشيء، ووصيت الشيء: وصلته . يقال: وطئنا أرضاً واصيةً، أي إن نبتها متصل قد امتلأت منه، ووصيت الليلة باليوم : وصلتها، وذلك في عمل عمله. والوصية من هذا القياس، كأنه كلام يوصى أي يوصل، يقال : وصيته توصية، وأوصيته إيصاءً."²

فالوصية في اللغة إذن من الفعل أوصى أي عهد إليه ، وهي وصل الشيء بالشيء أيضا.

¹ ابن منظور: لسان العرب، دارالمعارف، كورنيش النيل، القاهرة، د.ط، 1119، ص 4853.

² أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.م.ط، د.ت، ص116.

اصطلاحا:

ولأن الوصية من أنواع النثر العربي، عرفت منذ العصر الجاهلي، فقد كان للمصطلح مفهوم عام وآخر خاص، " أما الوصية بمفهومها العام فقد عرّفها الراغب الأصفهاني بأنها: (التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظٍ)"¹ وهنا قد أوضح شرطا من شروط الوصية وهي اقترانها بالموعظة .

أما في العصر الحاضر فقد عرفها جمع من الباحثين في عديد من الكتب: " وهي الثمرة الفكرية التي يكتسبها الفرد من تجاربه في حياته اليومية، وهي تفاعل هذه التجارب مع بيئته ومجتمعه، وهي كالحكمة، ولعلها تتكون من الحكم والأمثال"².

وهي " خلاصة موجزة عن حياة المرء في شؤونه وشجونته، وآخر ما يقدمه لأبنائه وذويه في حياته أو نهايتها، بعد أن اختبر الحياة بكل ما فيها من حلو ومر، فيوصيهم باعزاز الجار، وحماية الحريم، وإغاثة الملهوف، وقرى الضيف، وكل الأمور التي يرى فيها مخايل السيادة والرفعة"³.

خلاصة: الوصية قديما وحديثا، هي فن من فنون النثر العربي، وهي كلام نابع من خبرة عميقة في الحياة، وقد تكون كالمثل والحكمة، تقدم للآخرين من الأقرباء إلى من يتولى أمرهم، بغية نصحتهم وارشادهم لما يراه الناصح أو الموصي خيرا لهم، في قالب من الموعظة، يحيط به الحب والمودة.

ب- مميزات فن الوصايا:

¹ . عبد العزيز بن عبد الله: وصايا الآباء للأولاد في النثر العربي، شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، د.م.ط، ط1، 2021م، ص 29.

²² . سهام الفريج: أدب الوصايا في العصر الجاهلي، مجلة البيان الكويتية، ع208، 1 يوليو 1983، ص27، زيارة يوم 2024/02/24، 23:09.

<https://archive.alsharekh.org/Articles/219/19263/434706>

³ . حسين الحاج حسن: أدب العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط3، 1997، ص271.

ومن مميزات الوصية واختلافها عما سواها من الفنون الأخرى أن الوصية: " توجه إلى انسان معين في زمن معين، ولا حاجة لوجود جمهور بجانب الموصى إليه، في الوقت ذاته، لا يمنع من وجود بعض الناس ، إذا دعت الضرورة ، وربما تكون هذه الوصية صالحة لشخص آخر في زمن آخر، إذا توافقت المناسبة"¹.

وفقا لما سبق نستطيع تلخيص مميزات الوصية في النقاط التالية:

- الوصية خطاب موجه لانسان معين في زمن معين.
- لا يشترط أثناء إلقاءها وجود جمع من الناس.
- يمكن أن تكون صالحة لأشخاص آخرين في زمن غير الذي قيلت فيه. (نستعين بها كشاهد).
- تجمع بين الموصي والموصى إليه صلة القرابة والحب.

ج . الوصية في العصر العباسي:

لم يلقى فن الوصية الاهتمام الكبير عند العرب منذ العصر الجاهلي كبقية أنواع الفنون الأخرى من النثر: كالخطب والرسائل والمقامات...الخ، رغم ماتحملة في طياتها الكثر العظيم في غاب الأزمان والحاضر، ولعل أوج عصر كان فيه انتشار الوصايا بين الناس ، هو العصر العباسي ، " وتكثر الوصايا في فترات التغيير عند قيام الدول ، وعند حدوث الاضطرابات فرؤساء الدول حريصون على تثبيت دعائم دولتهم ، فنرى هؤلاء الرؤساء يوصون قاداتهم وولاتهم وشعوبهم"².

¹ - هاشم صالح مناع:النثر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 1993 ، ص107.108.

² . أحمد أمين مصطفى: أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1990، ص31.

أخذت الوصايا اتجاهات مختلفة في العصر العباسي، وهذا ما فرضته الحياة الجديدة للدولة العباسية ، الفتوحات الجديدة وانتشار العلوم، وانتشار الترف بين الناس، فكان من أبرز اتجاهاتها:

1. الوصايا السياسية:

تعد من الآداب السلطانية ، والتي تهتم بالحياة السياسية وسير الحكم والحفاظ على الملك،" تتخذ الكتابة السياسية السلطانية أشكالاً متعددة، تسمح لنا بحصر مختلف النصوص التي تنتهي لهذا الشكل أو ذلك والتميز بينها، فهناك العهود والرسائل إضافة إلى كتب نصائح الملوك والمنتخبات، التي تتضمن إضافة إلى مواضيع أخرى فصولاً عن السياسات السلطانية"¹.

ومن أمثلة الوصايا السياسية في العصر العباسي: وصية أبي العباس السفاح التي وجهها للرشيد ، " إنما هو درهمك وسيفك، فازرع بهذا من شكرك، واحصد بهذا من كفرك، فقال: ياعم، والله ما للملك غير هذا."² وأشهر من قدم الوصايا السياسية في العصر العباسي هم : أبو العباس السفاح، أبو جعفر المنصور، المهدي وهارون الرشيد... الخ.

ومن خلال اطلاعنا على مجموعة من الوصايا السياسية في هذا العصر نلاحظ أنها تتسم بالقسوة والعنف، مع الحكمة والقوة ، " وهكذا عامل العباسيون خصومهم السياسيين بمنتهى القسوة ، وكانوا يوصون أبناءهم بتجريد السيف للقضاء على كل معارض."³

2. الوصايا الاجتماعية:

¹ - عز الدين علام: الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، ع324، فبراير 2006، ص36.
² - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، السفر السادس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1926، ص8.
³ - أحمد أمين مصطفى: أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع ، ص26.

لعلنا نجد أن هذا الاتجاه من الوصايا كان قد انتشر بشكل كبير، " شملت الوصايا مختلف الأحوال الاجتماعية ، فالآباء يحرصون على تأديب أبنائهم، وولاية الأمور يوصون شعوبهم بالتمسك بمبادئ توافق هوى أولئك الولاة، وكان كثير من الخلفاء والوزراء يوصون أبناءهم بطلب العلم وحفظ الشعر والتمسك بالأدب."¹

" وأكثر هذه الوصايا قالها أصحابها في أواخر حياتهم أو عندما حضرتهم الوفاة، ولذا فهي تتضمن خلاصة تجاربهم تساق في حكم ومواعظ وكثيرا ما كان الأبناء يلتزمون بهذه الوصايا."²

إذن نستطيع القول اجمالا أن الوصايا الاجتماعية تعمل على خلق وتعزيز الروابط والعلاقات بين الأفراد، تحمل بين طياتها حبا واحتراما متبادلا بين الموصي والموصى إليه ، بسبب صلة القرابة، يحفها الصدق والتعاطف، تجمع بين التربية وتعلم العلم واتباع أوامر الخلفاء.

وانتشر هذا الاتجاه كثيرا بين العباسيين ، خلفاء وكتاب وآباء، وابن المقفع كان مولعا معروفا بها ، يقول يوصي إخوانه: " وعلى العاقل أن يذكر الموت في كل يوم وليلة مرارا، ذكرا يباشر به القلوب ويقدم الطماح، فإن كثرة ذكر الموت عصمة من الأشر، وأمانا بإذن الله من الهلع."³

3. الوصايا الدينية:

¹ - المرجع نفسه، ص 71.

² .برنامج التربية: فنون النثر العربي القديم، جامعة القدس المفتوحة، القدس، 2007، ص 17.

³ . عبد الله بن المقفع : الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر، بيروت، 2005، ص 5.

من أمثلة من اتبع هذا النهج الخليفة المتوكل حين عقد البيعة لبنيه الثلاثة كتب العهد بذلك وجاء فيه: "...فإن بطاعة الله تتم النعمة، وتجب من الله الرحمة، والله غفور رحيم."¹

إضافة إلى أن الوصية الدينية وثقت تعاليم الدين الإسلامي وقوانينه وتشريعاته، التي تنظم حياة المسلمين، مثل قوانين الصوم والزكاة والبيع والتجارة... الخ، وأبرز المصادر التي سلطت الضوء على هذا هي : كتب الفقه والأصول مثل : الموطأ للإمام مالك ابن أنس، والشافعية للإمام الشافعي.

د. وصايا أبو جعفر المنصور:

ومن أشهر الحكام الذين عرفوا بالوصايا في العصر العباسي وتوجيههم للناس ومن يرعونهم ولأبنائهم ، القائد العباسي أبو جعفر المنصور ، هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي، أبو جعفر المنصور ، ولد بالحميمية سنة 95هـ ، وأمه أم ولد اسمها سلامة، أخوه أبو العباس السفاح، الخليفة العباسي، وقد كان المنصور عضده الأقوى، حتى تولى الخلافة بعد مقتله ، سنة 136 هـ، وقد كانت الدولة مضطربة الأركان آنذاك مع خوف من المنافسة على السلطة من أطراف عديدة.

وقد اقترن اسم أبو جعفر المنصور بمدينة بغداد التي شيدها سنة 154 هـ، في مدة أربع سنوات، وأطلق عليها المسلمون أسماء كثيرة منها: مدينة المنصور ، ومنها المدينة المدورة نسبة

¹ . أبو جعفر بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك 224هـ. 310 هـ ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج9، دار المعارف، القاهرة، ، ط4، ص177.

لشكلها الدائري المأخوذ من العمارة الفارسية، وقد سماها المنصور السلام تيمنا بالجنة ،
وقيل أيضا لأن نهر دجلة يسمى واد السلام.¹

ومن صفاته أنه: " كان فحل بني العباس هيبه وشجاعة، ورأيا وحزما، ودهاء، وجبروتا،
وكان جماعا للمال، حريصا ، تاركا للهو واللعب، كامل العقل ، بعيد الغور، حسن المشاركة في
الفقه والأدب والعلم".²

وتولى بعده الخلافة ابنه المهدي ، بعدما كان المتعارف عليه " أنها كانت لابن أخيه
عيسى ابن موسى، وليست لابنه المهدي. لهذا أخذ المنصور يستعمل مع ابن أخيه وسائل
الارهاب والترغيب حتى أجابه إلى طلبه وخلص نفسه منها سنة 148هـ ، فصارت ولاية العهد
للمهدي أولا ثم لعيسى بن موسى بعده".³

" في سنة 158 هـ حج المنصور . شخص من مدينة السلام متوجها إلى مكة في شوال
فلما صار من منازل الكوفة عرض له وجعه الذي توفي به ولم يزداد حتى وصل بستان ابن
عامر فاشتد به وجعه ثم صار إلى بئر ميمون وهو يسأل عن دخول الحرم ويوصي الربيع بما
يريده، وتوفي في سحر ليلة السبت 6 ذي الحجة 158هـ".⁴

وهكذا جمع الرجل بين الشدة والرصانة ، والعمل الجاد والبعد عن اللهو، مع قوة
حزمه وصلاحه، وتفردته على الكثير من خلفاء الدولة العباسية ، حتى تمكن من بناء دولة ذات
أعمدة صلبة، قُدر لها أن تواصل المسير عشرات السنين فيما بعد.

كانت وصاياه في مختلف المناسبات تتضمن مجموعة من النصائح والتوجيهات
السياسية والاجتماعية والدينية، وجهها عادة إلى الولاة، والمسؤولين في الدولة، حثم فيها على
الحكمة في إدارة شؤونها، والاعتدال وحسن التعامل مع الناس، وخدمتهم.

¹ - ينظر: محمد الخضري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، تح الشيخ محمد العثماني، دار القلم، بيروت لبنان، 1986 ، ط1، ص56.

² - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح علي أبو زيد، ج7، مؤسسة الرسالة، ط11، 1996، ص83.

³ - أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص66.

⁴ - محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، ص84.

كما وجه في بعض الأحيان وصايا إلى أفراد عائلته الحاكمة، أمرهم فيها بالعدل والرحمة وسياسة الناس سياسة راشدة.

الفصل الأول

الدراسة الشكلية لوصية المنصور لابنه المهدي

توطئة:

كان أبو جعفر المنصور رجلاً قائداً شهماً قوياً، سياسي محنك، حتى أنه "أباد جماعة كباراً حتى توطد له الملك، ودانت له الأمم على ظلم فيه وثقة نفس، ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة، وتصون وصلاة الخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة"¹، وأكبر برهان على هذا، مجموعة خطبه ووصاياها التي كان يوجهها لمن يسوسهم، الناس عامة وأبنائه.

وفي أيدينا اليوم وصية تعد من أرقى الوصايا فكراً وقوة وحكمة، تبين سمو ورفعة قائمها، والتي كانت موجهة لابنه المهدي.

مناسبة الوصية:

من مجموع وصايا المنصور، وصية وجهها لابنه المهدي في آخر حياته، حين أحس بدنو أجله، وقرر عندها الذهاب للحج، حيث تعد هذه الوصية جامعة تحوي نصائح ثمينة، والتي لخصت مسيرة اثنين وعشرين سنة من الحكم والنضال، تحظى هذه الوصية بمجموعة من المواضيع التي تظهر توجهه وسلوكه ومرجعياته وطريقته سياسته في حكم الدولة، تحضيراً له لأمر ليس بالهين، بعدما اختاره خليفة له، "وفي سنة سبع وأربعين: خلع المنصور عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد، وكان السفاح عهد إليه من بعد المنصور، وكان عيسى هو الذي حارب له الآخرين فظفر بهما، فكافأه بأن خلعه مكرهاً، وعهد إلى ولده المهدي"²، فقد اختار المنصور ابنه المهدي لخلافته حباً له وثقة قد وضعها فيه.

مقدمة الوصية:

وفيها توجيه من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور نداء لابنه المهدي، مقدماً له أسباب كلامه، مبيناً له ثقل المهمة التي ستكون في انتظاره.

¹ - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص83.

² - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، سنة 2003، ص208.

وذكر عن اسحاق بن عيسى بن علي، عن أبيه، "قال: سمعت المنصور متوجه إلى مكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وهو يقول للمهدي عند وداعه إياه: يا عبد الله إني ولدت في ذي الحجة، ووليت في ذي الحجة، وقد هجس في نفسي أني أموت في ذي الحجة من هذه السنة"¹ ينتقل بعدها المنصور للخوض في موضوعات وصيته ، فكان من أهم ما ركز عليه من الجوانب:

أولاً: الموضوعات الدينية والعقائدية:

بدأ الخليفة المنصور وصيته بتذكير المهدي بجانب مهم لكل خليفة مسلم ، وهذا كان منهج الخلفاء المسلمين، ألا وهو بداية أي وصية بالجانب الديني ، فقال: "فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي، يجعل لك فيما كركب وحنك مخرجا . أو قال : فرجا ومخرجا . ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب. احفظ يا بني محمدا ﷺ في أمته يحفظ الله عليك أمورك. وإياك والدم الحرام ، فإنه حوب عند الله عظيم، وعار في الدنيا لازم مقيم . والزم الحلال، فإن ثوابك في الآجل ، وصلاحك في العاجل."²

وقد كانت هذه الكلمات دليل على ورع وتدين الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، وأن له بعدا دينيا وتقيا ، فقد ذكّر ابنه بحدود الله مع رعيته، وأنه لا نجاة ولا نجاح في غياب العدل واستفحال الظلم وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ سورة الطلاق الآية:2، وكان هذا ديدن الخلفاء المسلمين في العصرين السابقين، "أحاط الخلفاء العباسيون أنفسهم بهالة من الدين، فكان الدين القيمة الثقافية العليا بالإسلام ، ومرجعهم القرآن والحديث النبوي مما يبرز قوة الإيمان وهيبته ممزوجة بأبهة السلطان والسيادة"³.

¹ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك 234-310، تح أبو الفضل إبراهيم، ج8، دار المعارف ، ط3، دبت، ص105.

² - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك 310.234 هـ ، ص105.

³ .فاطمة السراحنة: قيم السيادة في وصايا خلفاء بني العباس (وصايا الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنه المهدي نموذجا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة، ع 63، أغسطس 2008، ص78.

وُوصف المنصور دائما بدمائة الخلق سرا وعلنا ، وحسن السلوك والرأي" كان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وذوي الآراء الصائبة منهم والتدابير السديدة، وقورا شديد الوقار حسن الخلق في الخلوة.¹

ودعا ولده أيضا إلى حفظ أوامر النبي صلى الله عليه وسلم وينتهي عن فعل نواهيه، ويراعي حدوده في عديد الأمور دقيقتها وعظيبتها ، لأن اتباعه من اتباع دين الله والامتثال بأوامره من الامتثال لأوامر الله عز وجل، وهنا يكون حفظ الله لعبده من الشرور والمكائد المتربصة به، ويقبض المسلم ثمرة ذلك بأن يحفظه الله في الدنيا والآخرة ، وتكون له حسن الخاتمة، فالجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ الشورى، الآية 30.

وأضاف أيضا التحذير من إراقة دماء المسلمين دون سبب لحد القتل، كالزنى والردة...الخ، مع هذا كان المنصور قد قتل المئات ممن أرادوا إنهاء ملكه من أعمامه ومن بايعهم ، ومن حاول تهديد أركان الدولة العباسية الناشئة ، والتي مازالت تتمايل يمينا ويسارا منذ تأسيسها.

وقد ذكر هذا في كتب كثيرة منها الكامل لابن الأثير ، حيث ذكر أن المنصور تخلص من عمه عبد الله بن علي الذي خرج عن طاعته وبايع نفسه، فاستعان بأبي مسلم الخرساني للتخلص منه ، ولأن عامة جنده من الخراسانيين ولن يعصوه إذا أمرهم بإقامة الحرب عليه والتي دامت ستة أشهر بينهما، حتى فر عبد الله إلى أخيه، ولكن المنصور توصل له وتمكن منه. ثم أعاد الكرة على أبي مسلم الخرساني رغم أنه ساعده وتمكن منه أيضا.

بالإضافة إلى أن المنصور واجه في عهده حركات عديدة تدعو إلى الخروج عنه، وتنسب نفسها للإسلام ، حاولت ذلك قلاع المسلمين باسم الدين ، لكنه بدوره كان متيقضا فطنا ، جهز عليها وعلى أتباعها أولاً بأول مثل حركة العلويين، وخروج سنباذ بخرسان، وملبدين حرملة الشيباني.²

¹ . محمد بن علي طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دارصادر بيروت، د.ط، د.ت، ص 160.

² . ينظر: أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م 5، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1987، ص 105.100.

وفي حدود عام مئة خمس وأربعين: " كان خروج الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، فظفر بهما المنصور فقتلهما، وجماعة كثيرة من آل البيت، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين، وكانوا قبل شيئا واحدا، وأذى المنصور خلقا من العلماء ممن أفتى بالخروج قتلا وضربا وغير ذلك..."¹

وآخر ما جاء في هذا الجانب ، أوصاه بالأخذ بالحلال واتباعه ، حتى يحصل الثواب والأجر والمنفعة.

وفيما يلي نلخص الجانب الديني في هذه الوصية في أربع نقاط وهي:

- تقوى الله: اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي.
- الالتزام بأوامر الرسول ﷺ ونواهي: احفظ يا بني محمدا ﷺ في أمته يحفظ الله عليك أمورك.
- حفظ دماء المسلمين: إياك والدم الحرام ، فإنه حوب عند الله عظيم، وعار في الدنيا لازم مقيم.
- التزام الحلال: والزم الحلال، فإن ثوابك في الآجل ، وصلاحك في العاجل.
- وكلها وصايا تخدم الجانب الديني العقائدي لابنه، وتضعه على المنهج المستقيم والطريق القويم.

ثانيا: الموضوعات السياسية:

يُجمع كل من كتب وأرخ عن حياة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد على ذكائه وفطنته السياسية، فقد كان سياسيا محتكا، دبلوماسيا وعسكريا ، ذا رباطة جأش لا ترد.

فبعد حديثه في وصيته عن الالتزام بالدين والعناية بأمور الناس، انتقل إلى جانب آخر، ألا وهو الجانب السياسي والذي تفوق فيه على كل من سبقه من خلفاء ، حتى

¹ . جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص208.

استطاع أن يحكم الدولة لمدة طويلة ، ويحافظ عليها من كيد الكائدين وأطماع الحاقدين.

قال في وصيته: "واقم الحدود ولا تعتد فيها فتبور، فإن الله لو علم أن شيئاً أصلح لدينه وأزجر من معاصيه من الحدود لأمر في كتابه. واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه، أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً، مع ما ذكره عنده من العذاب العظيم، فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة المائدة، الآية: 33، فالسلطان يا بني حبل الله المتين ، وعروته الوثقى، ودين الله القيم، فاحفظه وحطه وحصنه، وذبَّ عنه، وأوقع بالملحدين فيه، واقمع المارقين منه، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلثات بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن. واحكم بالعدل ولا تشطط، فإن ذلك أقطع للشغب، وأحسم للعدو، وأنجع في الدواء."¹

أوصى الخليفة ابنه " بعدم الاعتماد على المارقين والمنافقين وأصحاب الوجوه المتلونة، الذين لا يؤمنون إلا بمصالحهم الشخصية بعيداً عن مصلحة العامة."² وهو بهذا يؤكد لابنه ويعدد له الأركان السياسية التي ولا بد من الأخذ بها حتى يحافظ على ما حققه طيلة سنوات حكمه، وعلى هذا الصرح العظيم .

وكما أسلفنا الذكر، قد تعرّض أبو جعفر المنصور لحركات قومية تدعو للزندقة و التمرد، لكن بحكمته وحسن تصرفه، استطاع القضاء عليها وإبادة أصحابها وأتباعها.

كما كان لظهور دولة العباسيين "باعثاً قويا على انتعاش القومية الفارسية وما يتبعها من إحياء المجوسية والأمال القومية الأخرى، وقد أمّل الفرس كثيراً في أن يقبلوا

¹ . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك 310.234هـ ، ص 106.105.

² . عبد الجبار العبيدي: وصايا الخليفة المنصور العباسي لابنه المهدي، عضات وعبر، صحيفة المثقف، ع: 966، 2022/11/05، تم

الزيارة: 2024/04/02، 20:36، 966048.qadaya/الزيارة: 2024/04/02، 20:36، 966048.qadaya/ - https://www.almothaqaf.com/

الدولة العربية إلى فارسية، ولكن أملهم خاب ولم تتحقق تلك الأمنية التي أرادوها بمثل تلك العجلة"¹

كما أمر المنصور ابنه بإقامة العدل، والتمسك بالحق، لأن هذا سبيل النجاح والنجاة.

ولعل أعداءه قد نقلوا صورة واضحة للرجل، قوته ونباهته وشدة حيلته في الحرب والسلم، يقول يزيد بن عمر بن هبيرة: "مارأيت رجلا في حرب أو سلم أمكرو ولا أنكرو ولا أشد تيقضا من المنصور، لقد حاصرني في تسعة أشهر، ومعى فرسان العرب، فجهدنا كل الجهد حتى ننال من عسكره شيئا فما قدرنا، لشدة ضبطه لعسكره، ويقظته، ولقد حضرني وما في رأسي شعرة بيضاء، ثم انقضى ذلك وما في رأسي شعرة سوداء"².

ومن الأفكار الجديدة التي دعم بها الدولة العباسية سياسيا وعسكريا: " أصل الدولة وضبط المملكة ورتب القواعد ، وأقام الناموس واخترع الأشياء، فمن جملة ما اخترع فرس النوبة، ولم يكن الملوك فيه يعرفون ذلك."³ وهكذا يشهد جميع المؤرخين على تفردّه وتميزه، سلماً وحرّاً ، شدة ورخاء.

وخلاصة ماجاء في الجانب السياسي للوصية: نقطتين اثنتين هما:

1. عدم التساهل مع أعداء الإسلام و المارقين منه، وعدم التهاون في التخلص منهم عاجلا غير آجل، للحد من شرورهم وقطع نفوذهم.
2. الحرص على إقامة العدل والتمسك بالحق.

ثالثا: الموضوعات السلوكية:

ولاكتمال صفات القائد الفذ والحاكم المميز، حضي الجانب السلوكي منه باهتمام كبير، فنجده يقول: " وعفّ عن الفياء، فليس بك حاجة مع ما أخلفه لك، وافتتح عمك بصلة الرحم وبر القرابة . وإياك والأثرة والتبذير لأموال الرعية[...]* ووسع المعاش ، وسكن العامة

¹ . محمد سعد أطلس:عصر الازدهار، تاريخ الأمة العربية، ج5، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2020.د.ط، ص57، 58 .

² . محمد بن علي طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، ص160.

³ . المرجع السابق، ص160.

* حذف جزء من النص، لأن المنصور انتقل في كلامه من المواضيع السلوكية والمالية إلى مواضيع حسن تسيير الملك

، وأدخل المرافق عليهم ، واصرف المكاره عنهم، وأعد الأموال واخزنها. وإياك والتبذير ، فإن النوائب غير مأمونة، والحوادث غير مضمونة، وهي من شيم الزمان".¹

واصل كلامه الذي في لبه العديد من الأحكام التي ترشده في تسيير الخزينة، فكما هو السياسي المحنك، هو المدير والمسير، وكان قد اجتهد أيما اجتهاد حتى يحقق للدولة الفتية أركان مادية صلبة، " والاصلاحات الاقتصادية التي قام بها المنصور في غاية الوضوح، وقامت على أسس معينة منها الشدة والحزم في مراقبة عمال الخراج والسيطرة عليهم وعزلهم إذا كان هناك أية شبهة في انحراف".²

وكان قد عمل على إلغاء الجبايات عن الناس تحقيقا للرخاء في الحياة ، ولينعكس هذا على قوة الدولة، حيث " تأكد المنصور أن قوة الدولة وزيادة سعته وثروتها وعزها تتوقف على سعادة أفرادها ورضاهم ، لذا أقسم ألا يرهق رعيته بالجبايات".³

مع هذا كان المنصور يُعرف بالبخل والشح في كثير من المواقف " وكان المنصور مبخلاً يضرب بشحه الأمثال، وقيل: كان كريما وإنه لما حج أفضل على أهل الحجاز فكانوا يسمون عامه عام الخصب، والصحيح أنه كان رجلا جازما يعطي في موضع العطاء ويمنع في موضع المنع، وكان المنع عليه أغلب".⁴

أما ما جاء في الوصية ، فقد نصح ابنه بتجنب أموال الناس، فهو ليس بحاجة بتلك الاموال فما تركه له من ثروة طائلة تغنيه عنهم، وعن فتات أموالهم، وأوصاه بصلة الرحم وبرّ أقرابه، لأن صلة الرحم تزيد من الرزق وتطيل العمر، مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: من سُرّه أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه".⁵

ونهاه عن الأثرة وهي حب النفس، وتفضيلها عن الغير، وهي عكس الإيثار ، وليست من المروءة في شيء وليست من خصال الرجال، ونهاه أيضا عن تبذير أموال الناس، " وبكلمة

¹ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك 310234 هـ، ص: 106.

² - حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، ط5، دم.ط. د.ت، ص: 194.

³ - المرجع نفسه، ص: 169.

⁴ - محمد بن علي طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص 160.

⁵ - ابن حجر العسقلاني: بلوغ المرام من أدلة الأحكام، دار القيس للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2014، ط1، ص535.

معاصرة السياسة الاقتصادية للدولة، حين يحذره ، إياك والتبذير لأموال الرعية، لأن المال مال المسلمين لذا فقد أولى هذه الوصية الاهتمام وصاغ كلماته من أهل الخبرة والاختصاص.¹

وواصل حديثه موجها إياه بزيادة الأجور - وهذا ما عمل به سابقا فترة حكمه - حيث ورغم اتصافه بالبخل إلا أنه كان سخيا لأبعد الحدود، وأكثر من الإنفاق على الناس، " فحج أبو جعفر المنصور عام 140 هـ، وجعل منصرفه على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوضع لأهلها العطاء وأسنى لهم في الرزق، وفرق فيهم الجوائز."²

وكان المنصور سابقا قد أخذ أموالا من العامة، " فرد المهدي على الناس ما كان أخذه أبو جعفر من الأموال منهم عملا بوصية أبي جعفر بردها إليهم تحببا وتقربا منهم."³

أخيرا نلخص ماجاء من أمور مهمة في السياسة المالية والأمور الأخلاقية :

- عدم السطو على أموال الناس ظلما وعدوانا وبغير وجه حق.
- حثه على صلة الرحم والبر بأقاربه، لتعزيز كسب الرزق.
- الابتعاد عن حب النفس، وإيثارها على الغير.
- توسيع النفقات على العامة ، خاصة المعاشات.
- بناء المساكن للناس ، والمرافق الحياتية لهم، من هياكل ومرافق قاعدية للدولة الإسلامية.
- الحث على كسب المال الحلال والابتعاد عن تبذيره والإسراف فيه.

¹ . عبد الجبار العبيدي: وصايا الخليفة المنصور العباسي لابنه المهدي، عضات وعبر، تم الزيارة: 2024/04/02، 21:30.
-<https://www.almothaqaf.com/qadaya/966048>

² . محمد ضيف البطانية: الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، دار طارق ، عمان، د.ط، د.ت، ص 287.

³ . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك310234، ص 81.

رابعاً: موضوعات حسن تسيير الملك والإدارة الحكيمة للسلطان:

وجود الإسلام ديناً ومنهجاً، عرف إبداعاً وتنظيماً في مجالات شتى، إدارية وحربية، وتجلّى هذا منذ عهد ﷺ حتى امتد إلى الخلفاء من بعده.

والخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لم يكن بمنأى عن هذا كله، كسائر الخلفاء المسلمين عامة، والعباسيين خاصة، " ولي المنصور الخلافة، وكان أسن من أخيه أبي العباس السفاح، ودبر المملكة في أيامه تدبيراً حسناً".¹

يوصي المهدي في وصيته الأخيرة فيقول: " واشحن الثغور، واضبط الأطراف، وأمن السبل، وخص الواسطة [...] وأعد الرجال والكرام والجند ما استطعت ، وإياك وتأخير عمل اليوم إلى الغد، فتتدارك عليك الأمور وتضيق. جدّ في إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولاً بأول، واجتهد وشمر فيها ، واعدد رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل، وباشر الأمور بنفسك، ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل، استعمل حسن الظن بربك، وأسئ الظن بعمالك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقظ، وتفقد من يبيت على بابك، وانظر في أمر النزاع إليك، ووكّل بهم عينا غير نائمة، ونفساً غير لاهية."²

في نهاية وصيته عرج على الجانب الإداري من الحكم ، فكانت مجموعة الارشادات التي تضبط الإدارة وتنظم الصف، وتضمن دوام ملكه، فبدأ بأمره بحماية الدولة من المخاطر التي تحيط بها، وذلك بزيادة عدد العساكر عند مداخل المدن، وحراسة الطرق من قطاعها، والعمل على انشاء العلاقات لتسيير الأمور، وأن من النقاط المهمة لضبط الصفوف وحماية السلطان، إعداد الرجال والعمل على جمع الخيل والسلاح والجند، وهذا ما عمل به أيضاً في حياته وخلافته، " واجتمع له كثير من

¹ محمد كرد علي: الإدارة الإسلامية في عز العرب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014، ط4، ص107.

* حذف جزء من النص، لأن المنصور انتقل في كلامه من مواضع حسن تسيير الملك الى الأمور السلوكية والمالية.

² أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك 310.234، تح أبو الفضل إبراهيم، ج8، ص: 106.

الخيال لم يعرف مثله في جاهلية ولا اسلام، واستجاد الكساء والفرش وعدد الحرب ومؤنهما، واصطنع الرجال، وقوى الثغور.¹

وواصل ارشاداته ووصاياه في نقاط مهمة أخرى وهي:

- عدم تأجيل عمل اليوم للغد، فتكثر الواجبات والأعباء ثم تضيع فلا تؤدي.

- معالجة القضايا في حينها دون إطالة، مع الاجتهاد في حلها.

- توزيع المهام بين الرجال ليلا ونهارا، وذلك تأهبا منهم للمكاره وحرصا على الاستعداد التام لأي موقف.

- مباشرة الأمور شخصيا، والحرص على الوقوف على كل صغيرة وكبيرة بنفسه لا بواسطة لا ثقة في أمانتهم ونزاهتهم يجعلون الهوة بينه وبين رعيته تتسع.

- عدم الضجر أو الكسل أو الفشل.

- حسن الظن بالله ، وإساءة الظن بالآخرين، ليأمن غدرهم ومكرهم.

- التيقظ في كل الأمور، وأخذ الحيطة والحذر الدائم.

- فض النزاعات بين المتخاصمين، وتلبية حاجات المساكين.

خاتمة الوصية:

وفي ختام وصيته يقول المنصور: " ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولي الخلافة، ولا دخل عينيه غمض إلا وقلبه مستيقظ. هذه وصيتي إليك ، والله خليفتي عليك."²

وختم وصيته هذه بنهيه عن النوم حتى لا يضيع الملك، ويذهب الحكم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " متفق عليه.

¹ . المرجع السابق، ص: 108.

² - تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك 310.234، ص 106

فالمهمة صعبة و شاقة تتطلب اليقظة الدائمة والحضور المستمر ، وأي غفلة قد تسبب زوال ملكه، وضياع هيئته وفناء سلطانه.

الفصل الثاني

الدراسة الفنية لوصية المنصور لابنه المهدي.

توطئة:

كان الخليفة العباسي ومنذ شبابه طالب علم مجد، متفقه في الدين ، عالم بالأدب وفنونه، وعليه من المؤكد أن نجد في الوصية ما يثبت ذلك .

أ- الأساليب الإنشائية:

تعد الأساليب الإنشائية ضمن علم المعاني ، الذي وضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني،

1. تعريف الأسلوب الإنشائي:

يعرفه علماء البلاغة بـ : "الكلام الذي لا يحمل الصدق والكذب لذاته، وذلك ليس مدلول لفظه، قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه."¹

والإنشاء قسمان: الإنشاء الطلبي: " ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني والنداء."²

الإنشاء غير الطلبي: " ما لا يستدعي مطلوباً، وله صيغ كثيرة منها: التعجب، والمدح، والذم والقسم، وأفعال الرجاء، وكذلك صيغ العقود"³.

تنوعت الأساليب الإنشائية في الوصية بين النداء، والأمر والنهي، وهي أساليب طلبية، كما سنرى:

النداء:

النداء هو: " طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف مناب الفعل (أدعو) وأحرف النداء وأدواته ثمان: الهمزة، وأي، وياء، وأيا، وهيا، و آ، أي، ووا."⁴

1 - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة، بيروت، ط 1، 2009، ص: 69.
2 - علي الجارم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة البيان، المعاني، البديع للمدارس الثانوية، دار المعارف، دب، دط، دب، ط، ص: 170.
3 - المرجع نفسه، ص: 170.
4 - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني، ص: 114-115.

افتتح الخليفة المنصور وصيته بلفظ التنبيه حرف النداء: (يا) في أول جملة في الوصية (ياأبا عبد الله)، وأضاف بعدها فقال: (يا بني)، ليثير انتباه ابنه المهدي، الخليفة الجديد، وهذا ماجرت عليه العادة في بداية الوصايا عموماً، فاستخدم حرف النداء (يا) والتي تستخدم لنداء البعيد، مع أن ابنه قريب منه حاضر معه، " وقد ينزل القريب منزلة البعيد، فينادى بغير الهمزة وأي، إشارة إلى علو مرتبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشروذ ذهنه."¹

الأمر:

يعرفه البلاغيون بـ: " صيغة الطلب من الأعلى إلى الأدنى أمر ويسمي البلاغيون هذا التوجه من الطلب بأنه طلب على وجه الاستعلاء."²

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام: "كالارشاد ، والدعاء، والالتماس، والتمني، والتخير، والتسوية، والتعجيز، والتهديد، والإباحة."³

كانت صيغ الأمر غالبية في نص الوصية، حيث وصل عدد أفعال الأمر إلى ثمانية وثلاثين (38) فعل أمر، إضافة إلى أربع (04) جمل أخرى بصيغة اسم فعل أمر (إِيَّاكَ)، وهذا دليل على كثرة وأهمية التوجيهات والارشادات الموجهة للخليفة الجديد، نذكر منها:

- اتق، احفظ، الزم، احكم، افتتح: غرضه النصيح والارشاد.
- إياك والدم الحرام، إياك والأثرة، إياك والتبذير، إياك وتأخير عمل اليوم إلى الغد : أسلوب أمر غرضه التحذير.

¹ - علي الجارم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع للمدارس الثانوية، ص212
² - مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف الإسكندرية، الإسكندرية، د.ط، 2022، ص25
³ - المرجع نفسه.

النهي:

ويعرف النهي بـ: " طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وله صيغة واحدة وهي المضارع مع لا الناهية، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ الأعراف، الآية:56".¹

وللنهي أغراض أخرى قد يجيء لأجلها وهي: " أن يستعمل على سبيل التضرع، كقول المبتهل إلى الله: لا تكليني إلى نفسي، سمي: دعاء، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء، سمي التماسا، وإن استعمل في حق المستأذن، سمي: إباحة، وإن استعمل في مقام تسخط الترك، سمي تهديدا".²

وقد جاء النهي في الوصية في سبعة (07) مواضع وهي:

• لا تضجر، لا تكسل، لا تفشل، لا تنم، لا تعتد، لا تجاوز، لا تشطط: كان الغرض

منها النصح والإرشاد.

ب- الأساليب الخبرية:

الأسلوب الخبري النوع الثاني من علم المعاني.

1. تعريفه:

الخبر هو: " الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته، نحو قلنا: (جاء زيد) فهذه الجملة أفادت نسبة المجيء إلى زيد والحكم عليه، فإن وافق ذلك الواقع كان الخبر صادقا ووصف الكلام بالصدق، وإن خالفه كان كاذبا ووصف الكلام بالكذب".³

2. أغراضه:

للخبر أغراض مختلفة وهي:

¹ - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ط، ص76.

² - السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1987، ص320.

³ - بيوني عبد الفتاح بيوني: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ج1، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، د.ت، ط، ص33.

فائدة الخبر: " إن قصد المخبر بخبره إما إفادة المخاطب أو السامع مضمون الخبر ونفس الحكم، كقوله: جاء عمرو، وزيد ناجح، ويسمى هذا فائدة الخبر، وهذا المقصد الأول من الأسلوب الخبري."¹

أي أن المتكلم أراد إفادة المخاطب بخبر لا يعلمه.

لازم الفائدة: " أن المتكلم عالم بالحكم وبمضمون الخبر الذي يعلمه المخاطب، وذلك عندما يكون المخاطب عالما بمضمون الخبر ولكنه يجهل معرفة المتكلم به."²

أي أن المخاطب يعلم أيضا الخبر الذي جاء به المتكلم ، ويسمى الغرض هنا: لازم الفائدة.

وهناك أغراض أخرى تخرج الخبر عن هاذين الغرضين تعرف من سياق الكلام أيضا، ك: " الاسترحام، إظهار الضعف، إظهار التحسر، الفخر."³

3. أضربه:

للخبر أضرب ثلاثة وهي:

الخبر الابتدائي: " أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقي إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيا."⁴

مثال: غدا امتحان، فهنا المخاطب لا يعلم بهذا الخبر، فألقي إليه دون أدوات توكيد.

الخبر الطلبي: " أن يكون مترددا في الحكم شاكا فيه، ويبغي الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويحل فيها اليقين محل الشك، ويسمى هذا الضرب من الخبر طلبيا."⁵

1 - المرجع نفسه، ص36.

2 - المرجع نفسه، ص36.

3 - علي الجارم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، 147.

4 - عيد العزيز عتيق: علم المعاني، ص52-53.

5 - المرجع نفسه، ص53.

مثال: إن الامتحان غدا، وهنا المخاطب متردد يعتريه الشك في الخبر، فينبغي توكيده بإحدى أدوات التوكيد.

الخبر الإنكاري: " أن يكون المخاطب منكرا لحكم الخبر، وفي هذا الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر، على حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف، ويسمى هذا الضرب من الخبر إنكاريا.¹"

مثال: إن الامتحان لغدا، وهنا إنكار من المخاطب للخبر، فوجب توكيده بأداتين حتى يحل اليقين .

نلاحظ في نص الوصية وجود الأسلوب الخبري أيضا، لكن بصورة أقل مقارنة بالأسلوب الإنشائي الذي طغى على الوصية.

ومن الجمل الخبرية:

- وليت في ذي الحجة: أسلوب خبري ابتدائي، الغرض منه لازم الفائدة.
- أني أموت في ذي الحجة: أسلوب خبري طلبي الغرض منه فائدة الخبر.
- إن الله لو علم أن شيئا أصلح لدينه وأزجر من معاصيه من الحدود لأمر به في كتابه: أسلوب خبري إنكاري، الغرض منه فائدة الخبر.
- إني ولدت في ذي الحجة: أسلوب خبري طلبي، الغرض منه زيادة التوكيد.
- إنه حوب عند الله عظيم: أسلوب خبري طلبي، الغرض منه لازم الفائدة.
- فقد هجس في نفسي أني أموت في ذي الحجة: خبر إنكاري ، الغرض منه فائدة الخبر.

¹ - المرجع نفسه، ص53.

ج . الاستعارة:

أما الاستعارة فهي من المجاز، وهي: " ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان، والأسماع والأذهان."¹

وقد جاءت الاستعارة في الوصية في جملة واحدة ، وهي :

● قلبه مستيقظ: وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فالمنصور شبه القلب بالانسان واستعار لفظ المشبه به وهو الانسان للمشبه وهو (القلب) ، ثم حذف المشبه به (الانسان) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الاستيقاظ)، أما نوعها فهي استعارة مكنية.

د . التشبيه:

التشبيه وهو: " الدعوة على مشاركة أمر لآخر في المعنى."²

أما أركانه فأربعة، وهي: " المشبه، والمشبه به، ويسميا طرفي التشبيه، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه."³

وقسمه البلاغيون إلى: " التشبيه المرسل: ما ذكرت فيه الأداة.

التشبيه المؤكد: ما حذف من الأداة.

التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه.

التشبيه البليغ: ما حذف منه الأداة ، ووجه الشبه.

التشبيه الضمني: تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في

صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يدمجان في التركيب."⁴

1 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص241.

2 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية ،لبنان، ط1، 2003، ص164.

3 - علي الجارم ، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع، ص20.

4 - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص242.

وجاء التشبيه في الوصية في ثلاث جمل متتالية وهي: السلطان يابني حبل الله المتين، وعروته الوثقى، ودين الله القيم.

في هذه الجمل جاء التشبيه بليغا، حيث حذفت منه الأداة ووجه الشبه، لأن الخليفة يريد أن يظهر لابنه أن (السلطان وحبل الله) و أن (السلطان والعروة الوثقى) وأن (السلطان ودين الله القيم) إنما هي صور لشيء واحد متساوي الرتب ، وهذا من أقوى أنواع التشبيه.

هـ. الكناية:

والكناية أيضا ضمن علم البيان.

1. تعريفها: " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، كقولك : (فلان طويل النجاد) أي طويل القامة."¹

إذن هي : تعبير حقيقي يراد به معنى آخر، مع جواز المعنى الأصلي.

2. أقسامها :

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام: " فإن المكنى عنه قد يكون صفة، وقد يكون موصوفا، وقد يكون نسبة."²

وقد جاءت الكناية في الوصية في جملتين اثنتين هما :

- إياك والدم الحرام، فلفظ الدم الحرام كناية عن القتل بغير وجه حق، وهي كناية عن موصوف.
- ووكل بهم عينا غير نائمة: وهي كناية عن الحرص والتيقظ، وهي كناية عن صفة عدم الغفلة.

¹ - الخطيب القزويني: الايضاح في علوم البلاغة المعاني البيان البديع، ص: 241.

² - علي الجارم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع، ص 125.

و. السجع:

من الخصائص الفنية لنص الوصية، كثرة المحسنات البديعية، وقد توشحت هذه الوصية بعدد كبير منها خاصة الأسجاع.

1. تعريف السجع:

لغة: " الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على روي ، ج: أسجاع، كالأسجوعة بالضم، ج: أساجيع."¹

اصطلاحاً: يعرف السجع في علم البديع بـ: " توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا هو معنى قول السكاكي: (السجع في النثر كالقافية في الشعر)."²

وسبب تسمية السجع بهذا الاسم لأنه: " اشتقاق من سجع الناقة والحمامة، وهو ترديد صوتها على وجه واحد، وإنما شبه بذلك لتقارب فواصله."³

2. أقسام السجع:

يأتي السجع في النثر على عدة أقسام منها:

1.2. المطرف: " هو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا واتفقت رويًا، نحو قوله تعالى:

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14) ﴾. الأعراف، الآية: 13.14 "⁴

والسجع هنا: وقارا وأطوارا ، مختلفتان وزنا (الآية الأولى أطول من الثانية)، متفقتان رويًا ، وهو حرف الراء.

2.2. المتوازي: " وهو ما اتفقت فيه اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي. قال

تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَنْحَابٌ مُّؤَصَّوَةٌ (14) ﴾ الغاشية، الآية: 13.14 "¹

¹ - الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008، ص248.

² - عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربي، بيروت، دط، دت، ط، ص216.

³ - محمود أحمد حسن المراغي: في البلاغة العربية علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1991، ص127.

⁴ - محمد أحمد قاسم ، محي الدين ديب: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط2003، ص106.

لفظتا مرفوعة وموضوعة متفتتان وزنا ورويا.

2.3. الترصيع: "وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)﴾"² الإنفطار، الآيتان: 14.13.

هنا نجد أن كل لفظة في الآية الأولى لها نفس الوزن والروي مع لفظتي الآية الثانية، (الأبرار، الفجار)، (نعيم، جحيم).

4.2. المشطور: " وهو أن يكون في كل شطر من البيت قافيتان مختلفتان عن قافية الشطر الثاني، وهذا النوع خاص بالشعر، مثال قول أبي تمام:

تدبير معتصم بالله، منتقم ... لله، مرتغب في الله، مرتقب"³.

نجد في هذا البيت كل من : (معتصم، منتقم) ، (مرتغب، مرتقب) : في كل شطر من البيت السابق لفظتان متفتتان قافية ، تختلف عن الشطر الآخر.

السجع في وصية الخليفة أبو جعفر المنصور:

- وإياك والدم الحرام ، فإنه حوب عند الله عظيم: (حرام، عظيم) : سجع مطرف: لاختلاف وزن الجملة ، واتفاق القافية (حرف الميم).
- وإياك والدم الحرام ، فإنه حوب عند الله عظيم. : (عظيم، مقيم): سجع متوازي، لاتفاق اللفظتان وزنا (//0/0، //0/0) وقافية (حرف الميم).
- والزم الحلال، فإن ثوابك في الآجل. : (الحلال، الآجل): سجع مطرف: لاختلاف وزن الجملة ، واتفاق القافية (حرف اللام).
- وأوقع بالملحدن فيه، واقمع المارقين منه. : (فيه، منه): سجع متوازي: لاتفاق اللفظتان وزنا (//00/، //00/)، وقافية (حرف الهاء).

¹ - محمد أحمد قاسم ، محي الدين ديب: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص108.

² - عبد العزيز عتيق: علم البديع، ص218.

³ - محمود أحمد حسن المراغي: علم البديع، دار العلوم ، بيروت، ط1، 1991، ص130.

- فإن النوائب غير مأمونة، والحوادث غير مضمونة . : (مأمونة، مضمونة): سجع متوازي: لاتفاق اللفظتان وزنا (/0//0/، /0//0/) ، واتفاق القافية (حرف النون).
- استعمل حسن الظن بربك، وأسى الظن بعمالك وكتابك . : (بربك، كتابك): سجع مطرف، لاختلاف وزن الجملتان ، واتفاقهما قافية (حرف الكاف).
- هذه وصيتي إليك ، والله خليفتي عليك .: (إليك ، عليك): سجع متوازي، لاتفاق اللفظتان وزنا (/0//، /0//) واتفاقهما قافية (حرف الكاف).

الأثر البلاغي للسجع في الوصية:

إن إغراق النص بألفاظ مسجوعة متنوعة ، جعل له جمالية خاصة، تحفز السامع على الانتباه والاستماع الجيد للوصايا، كذلك أن السجع يؤدي إلى تعزيز الايقاع والتوازن في النص، خاصة ما جاء منها مطبوعا على غير تكلف أو تصنع .

ز- الجناس:

يعد الجناس من ألوان البديع اللفظي، ومن أوائل من فطن به هو عبد الله بن المعتز، حيث عرفه فقال: " وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها."¹

وقد جاء الجناس في الوصية في مواضع ، وهي:

- فإن ثوابك في الآجل ، وصلاحك في العاجل: (الآجل، العاجل) : جناس ناقص.
- واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه، أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادا : (العذاب، العقاب): جناس ناقص.
- واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلثات بهم: (لهم، بهم) : جناس ناقص.
- وأدخل المرافق عليهم ، واصرف المكاره عنهم: (عليهم، عنهم): جناس ناقص.

¹ - عبد الله بن المعتز: كتاب البديع، دار المسيرة، بيروت، ط1982، ص3، ص25.

ك - الطباق:

ويكون: " إما بلفظين من نوع واحد، أي أن يكون اللفظان اسمين أو فعلين أو حرفين. "¹

وذكر في الوصية في موضعين اثنين (02) منها:

- واعدد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار : (الليل ≠ النهار): طباق ايجاب.
- وإياك وتأخير عمل اليوم إلى الغد: (اليوم ≠ الغد): طباق إيجاب.

ل - الاستشهاد:

استشهد الخليفة أبو جعفر المنصور بالقرآن الكريم، تعزيزاً لموقفه ورأيه أمام ابنه المهدي، فذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ المائدة: الآية:33.

وللاستشهاد أثر بلاغي واضح وبرهان قوي لكلام المتحدث، " قال أبو الفضل الصوري: ولا شك أن كاتب الإنشاء من أحوج الناس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى في أثناء محاوراته وفصول مكاتباته، والتمثل بنواحيه وأوامره والتدبر لقوارعه وزواجره، وهو حلية الرسائل وزينة الإنشاءات وهو الذي يشد قوى الكلام، ويثبت صحته في الأفهام، فمتى خلت منه كانت عاطلة من المحاسن، عارية من الفضائل: لأنه الحجة التي لا تدحض، والحقيقة التي لا ترفض."²

م - الاقتباس:

وهو أن " يضمن المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر أنه منهما."³

وكان الاقتباس من القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي :

¹ - محمود أحمد حسن المراغي: علم البديع، ص67.

² - أبو العباس أحمد القلقشندي:صبح الأعشى، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، د، ط، 1992، ص63.

³ - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص338.

- فالسلطان يابني حبل الله المتين ، وعروته الوثقى، ودين الله القيم، اقتبس الخليفة معنى هذه الجملة من قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ سورة آل عمران، الآية: 133.
- يجعل لك فيما كربك وحنزك مخرجا: اقتباس من الآية: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ سورة الطلاق الآية:2.
- احفظ يا بني محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته يحفظ الله عليك أمورك: مقتبس من الحديث النبوي الشريف : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتب الله لك، وأن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف.) رواه الترمذي.¹
- وإياك وتأخير عمل اليوم إلى الغد: اقتباس من الحكمة العربية: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.
- وأعد الرجال والكراع والجند ما استطعت: اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ سورة الأنفال ، الآية: 60.
- استعمل حسن الظن بربك: مقتبس من الحديث القدسي: حدثنا قتيبة بن سعيد، وزهير بن حرب، واللفظ لقتيبة، قالوا: حدثنا جرير: عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في

¹ - أبو زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين، دار ابن الجوزي، ط1، 1421هـ، ص35.

ملا، ذكرته في ملاهم خير منه، وإن تقرب مني شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.¹

نخلص أن هذه الوصية قد كثر فيها الأسلوب الإنشائي بصفة واضحة جدا، مقارنة بالأسلوب الخبري، و تواجد لبعض الصور البيانية مع قلتها، كالاستعارة والتشبيه والكناية، أما علم البديع فقط كان السجع الذي أضفى عليها جرسا موسيقيا ، يلفت انتباه السامع، وكان الجناس والطباق، ونلاحظ أيضا أن الخليفة اعتمد على الاستشهاد والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف للاقناع والتأثير.

¹ - مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، م4، دار القيس، المملكة العربية السعودية، ط1، 2014، ص2061.

الخاتمة

الخاتمة

حظيت الوصية في العصر العباسي بانتشار ملفت للانتباه، وذلك بسبب التغيير في أنظمة الحكم، ومحاولة الحكام توعية الولاة والرعية ومن ي خلفهم للحفاظ على الدولة من الانهيار والضياع، وقد تميزت الوصايا عن غيرها من فنون النثر، فهي تصلح لكل زمان ومكان، وتجمع بين الموصي والموصى إليه صلة القرابة

وقد شغلت الوصية آنذاك مواضيع عديدة تناولها الحكام من كل الجوانب، فكانت منها:

- ✓ الوصايا السياسية والتي نلاحظ في خطابها نوعا من العنف والقسوة.
- ✓ الوصايا الاجتماعية: والتي انتشرت بشكل كبير، حتى بين عامة الناس، فالآباء يوصون أبناءهم والحكام يرشدون الولاة والشعوب.
- ✓ الوصايا الدينية: استطاعت أن تلخص التشريعات الفقهية ، وتعين على تثقيف الناس دينيا.
- وأحاطت وصية أبو جعفر المنصور بمواضيع عديدة، وهي:
- ✓ الموضوعات الدينية و العقائدية: والتي دعت إلى تقوى الله، والالتزام بالحلال وترك الحرام.
- ✓ الموضوعات السياسية: وفيها
- ✓ الموضوعات السلوكية: وصى فيها المنصور ابنه بعدم الظلم، وبصلة الرحم، وبناء المرافق للناس وتوسيع النفقات عليهم دون تبذير.
- ✓ موضوعات حسن تسيير الملك والإدارة الحكيمة للسلطان: وأوصاه فيها بعدم تأجيل عمل اليوم للغد، وبإساءة الظن بعماله، وأن يباشر أمور دولته بنفسه، دون كسل أو ضجر.

أما فنيا فقد تنوعت البلاغة بكل فنونها، فكانت عبارة عن مزيج بين علم المعاني والبيان والبديع.

أما من علم المعاني فنجد:

✓ كثرة الأساليب الإنشائية: خاصة صيغ الأمر والنهي، مع وجود لبعض صيغ النداء.

✓ الأساليب الخبرية: بين الابتدائية والطلبية والإنكارية، مع تعدد أغراضها.

ومن علم البيان ، اشتملت الوصية على:

✓ كل من الاستعارة والتشبيه والكناية، لكن بصورة قليلة جدا، وهذا حتى يسهل فهم

الوصية دون الغوص في حقيقة تلك التعابير المجازية.

أما عن علم البديع، فقد تزينت الوصية بـ:

✓ كثرة الأسجاع بمختلف أنواعها.

✓ تكرار الجناس والطباق.

✓ واعتمد الخليفة في اقناع ابنه والتأثير عليه استشهادا بآيات القرآن الكريم، والاقْتباس

من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

ملحق لنص وصية
المنصور لابنه
المهدي

نص الوصية:

ذكر عن اسحاق بن عيسى بن علي، عن أبيه، "قال: سَمِعْتُ الْمَنْصُورَ مُتَوَجِّهًا إِلَى مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَهُوَ يَقُولُ لِلْمَهْدِيِّ عِنْدَ وَدَاعِهِ إِيَّاهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي وُلِدْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَوُلِيتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَقَدْ هَجَسَ فِي نَفْسِي أَنِّي أَمُوتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا أَعَاهَدُ إِلَيْكَ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدِي، يَجْعَلُ لَكَ فِيمَا كَرِهْتَ وَحُزْنِكَ مَخْرَجًا . أَوْ قَالَ : فَرَجًا وَمَخْرَجًا . وَيَرْزُقُكَ السَّلَامَةَ وَحُسْنَ الْعَاقِبَةِ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ . احْفَظْ يَا بُنَيَّ مُحَمَّدًا ﷺ فِي أُمَّتِهِ يَحْفَظُ اللَّهُ عَلَيْكَ أُمُورَكَ . وَإِيَّاكَ وَالِدَّمَ الْحَرَامَ ، فَإِنَّهُ حَوْبٌ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ، وَعَارٌ فِي الدُّنْيَا لِأَزْمٍ مُقِيمٍ . وَالزَّمِ الْحَلَالَ، فَإِنَّ ثَوَابَكَ فِي الْأَجْلِ ، وَصَلَاحَكَ فِي الْعَاجِلِ، أَقِمِ الْحُدُودَ وَلَا تَعْتَدْ فِيهَا فَتَبُورَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَوْ عَلِمَ أَنَّ شَيْئًا أَصْلَحَ لِدِينِهِ وَأَزَجَرَ مِنْ مَعَاصِيهِ مِنَ الْحُدُودِ لِأَمْرٍ فِي كِتَابِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِ اللَّهِ لِسُلْطَانِهِ، أَمْرٍ فِي كِتَابِهِ بِتَضْعِيفِ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى مَنْ سَعَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، مَعَ مَا ذَخَرَ لَهُ عِنْدَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.﴾ سورة المائدة، الآية: 33، فَالْسلْطَانُ يَا بُنَيَّ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ ، وَعُرْوَتُهُ الْوُثْقَى، وَدِينُ اللَّهِ الْقِيَمِ، فَاحْفَظْهُ وَحُطَّهُ وَحَصِّنْهُ، وَذَبِّ عَنْهُ، وَأَوْقِعْ بِالْمُلْحِدِينَ فِيهِ، وَأَقْمِعِ الْمَارِقِينَ مِنْهُ، وَاقْتُلِ الْخَارِجِينَ عَنْهُ بِالْعِقَابِ لَهُمْ وَالْمَثَلَاتِ بِهِمْ ، وَلَا تَجَاوِزْ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ . وَاحْكُمْ بِالْعَدْلِ وَلَا تُشْطِطْ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْطَعُ لِلشَّغَبِ، وَأَحْسَمُ لِلْعَدُوِّ، وَأَنْجَعُ فِي الدَّوَاءِ. وَعِفَّ عَنِ الْفِيءِ، فَلَيْسَ بِكَ حَاجَةٌ مَعَ مَا أَخْلَفَهُ لَكَ، وَافْتَتِحْ عَمَلَكَ بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَبِرِّ الْقَرَابَةِ . وَإِيَّاكَ وَالْأَثْرَةَ وَالتَّبْدِيرَ لِأَمْوَالِ الرَّعِيَّةِ وَاشْحِنِ الثَّغُورَ، وَاضْبِطِ الْأَطْرَافَ، وَأَمِّنِ السَّبِيلَ، وَخَصِ الْوَاسِطَةَ، وَوَسِّعِ الْمَعَاشَ ، وَسَكِّنِ الْعَامَّةَ ، وَأَدْخِلِ الْمُرَافِقَ عَلَيْهِمْ ، وَاصْرِفِ

المكارة عنهم، وأعدّ الأموال واخزنتها. وإياك والتبذير، فإنّ النوائب غير مأمونة، والحوادث غير مضمونة، وهي من شيم الزمان، وأعدّ الرجال والكراع والجند ما استطعت، وإياك وتأخير عمل اليوم إلى الغد، فتتدارك عليك الأمور وتضيع. جدّ في إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولاً بأول، واجتهد وشمّر فيما، واعدّد رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل، وباشر الأمور بنفسك، ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل، استعمل حسن الظنّ برّبك، وأسيئ الظنّ بعمالك وكتّابك، وخذ نفسك بالتّيقّظ، وتفقد من يبيت على بابك، وانظر في أمر النزاع إليك، ووكّل بهم عيناً غير نائمة، ونفساً غير لاهية. ولا تنم فإنّ أباك لم ينم منذ وليّ الخلافة، ولا دخل عينيه غمض إلاّ وقلبه مستيقظ. هذه وصيتي إليك، والله خليفتي عليك.

قال: ثمّ ودّعه وبكى كلّ واحدٍ منهما إلى صاحبه.

المراجع

القران الكريم:

- رواية حفص عن عاصم.

مصدر الوصية:

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك310234.تح أبوالفضل إبراهيم،ج8، دار المعارف ، ط3، د.ت.

كتب الحديث:

- ابن حجر العسقلاني: بلوغ المرام من أدلة الأحكام، دار القبس للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2014، ط1.
- أبو زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين، دار إبن الجوزي، ط1، 1421هـ
- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري: صحيح البخاري،م4، مركز البحوث وتقنية المعلومات دار التأصيل ،القاهرة، ط 1، 2012، كتاب الوصايا،ر2755.
- مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، م4، دار القبس، المملكة العربية السعودية، ط1، 2014.

القواميس:

- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.م.ط، د.ت.
- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2008.
- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، د.ط، 1119.

المراجع:

- أحمد أمين مصطفى: أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1990.
- أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.ط.
- برنامج التربية: فنون النثر العربي القديم، جامعة القدس المفتوحة، القدس، 2007.
- بيوني عبد الفتاح بيوني: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ج1، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، د.ت.ط.
- حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، ط5، د.م.ط، د.ت.
- أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م 5، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1987.
- حسين الحاج حسن: أدب العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط3، 1997.
- أبو جعفر بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك224هـ . 310 هـ ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ،ج9، دار المعارف، القاهرة، ،ط4.

- أبو العباس أحمد القلقشندي:صبح الأعشى، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، د، ط، 1992.
 - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، سنة2003.
 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية ،لبنان، ط1، 2003.
 - السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية،لبنان، ط2، 1987.
 - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح علي أبو زيد، ج7، مؤسسة الرسالة، ط، 11، 1996.
 - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، السفر السادس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1926.
 - عبد العزيز بن عبد الله: وصايا الآباء للأولاد في النثر العربي، شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع ، دم.ط، ط1، 2021م.
 - عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربي، بيروت، د.ط، د.ت.ط.
 - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة، بيروت، ط 1، 2009.
 - عبد الله بن المعتز: كتاب البديع، دار المسيرة، بيروت، ط1982، 3.
 - عبد الله بن المقفع : الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر، بيروت، 2005.
 - عز الدين علام: الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، ع324، فبراير2006.
 - علي الجارم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة البيان، المعاني، البديع للمدارس الثانوية، دار المعارف، د.ب، د.ط، د.ت.ط.
 - محمد أحمد قاسم ، محي الدين ديب: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط، 2003.
 - محمد الخضري بك: محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية الدولة العباسية، تح الشيخ محمد العثماني، دار القلم، بيروت لبنان، 1986 ، ط1.
 - محمد بن علي طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر بيروت، د.ط، د.ت.
 - محمد سعد أطلس:عصر الازدهار، تاريخ الأمة العربية، ج5، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2020د.ط.
 - محمد ضيف البطانية: الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، دار طارق ، عمان، د.ط، د.ت.
 - محمد كرد علي:الإدارة الإسلامية في عز العرب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014، ط4.
 - محمود أحمد حسن المراغي: في البلاغة العربية علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1991.
 - مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف الاسكندرية، الاسكندرية، د.ط، 2022.
 - هاشم صالح مناع:النثر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 1993.
- المجلات والدوريات:**
- فاطمة السراحنة:قيم السيادة في وصايا خلفاء بني العباس (وصايا الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنه المهدي نموذجاً ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة، ع 63، أغسطس 2008.

الروابط الالكترونية:

- سهام الفريخ: أدب الوصايا في العصر الجاهلي، مجلة البيان الكويتية، ع208، 1 يوليو 1983، ص27، زيارة يوم
<https://archive.alsharekh.org/Articles/219/19263/434706.23:09> ، 2024/02/24
- عبد الجبار العبيدي: وصايا الخليفة المنصور العباسي لابنه المهدي، عضات وعبر، صحيفة المثقف، ع: 966،
<https://www.almothaqaf.com/qadaya/966048>.20:36 ، 2024/04/02:تم الزيارة، 2022/11/05

فهرس المحتويات

الفهرس

الصفحة	العنوان
///	اهداء
///	شكر وتقدير
///	الملخص
أ - د	المقدمة
المدخل : ضبط مصطلحات البحث	
06	تعريف الوصية
08	مميزات فن الوصايا
09	الوصية في العصر العباسي
11	وصايا أبو جعفر المنصور
الفصل الأول : الدراسة الموضوعاتية لوصية المنصور لابنه المهدي	
15	مناسبة الوصية
15	مقدمة الوصية
16	أولاً: الموضوعات الدينية والعقائدية
19	ثانياً: الموضوعات السياسية
21	ثالثاً: الموضوعات السلوكية
23	رابعاً: موضوعات حسن تسيير الملك والإدارة الحكيمة للسلطان
25	خاتمة الوصية
الفصل الثاني : الدراسة الفنية لوصية المنصور لابنه المهدي	
27	أولاً: علم المعاني
32	ثانياً: علم البيان
34	ثالثاً: علم البديع
41	الخاتمة
44	الملاحق
47	المراجع
51	فهرس المحتويات